ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم

القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني(*)

يقولـــونَ لي فيـــكَ انْقِبـــاضٌ وإنَّمـــا ... رَأَوْا رجـــلاً عـــن مَوْقِـــفِ الـــذُّلِّ أحْجَمَـــا

أرى النّـــاسَ مَـــنْ دانـــاهُمُ هـــانَ عنـــدَهُمْ ... ومَـــنْ أَكْرَمَتْـــهُ عِـــزَّةُ الـــنّفسِ أُكْرِمَـــا

ومـــا زِلْـــتُ مُنْحـــازاً بِعِرْضِـــيَ جانبـــاً ... مِـــنَ الـــذَّمِّ أَعْتَـــدُّ الـــصِّيانَةَ مَغْنَمَـــا

إذا قيـــلَ هـــذا مَـــشْرَبٌ قلـــتُ قَـــدْ أرَى ... ولكـــنَّ نفـــسَ الْحـــرِّ تَحْتَمِـــلُ الظَّمَـــا

ومـــا كـــلُّ بَـــرْقٍ لاحَ لي يَـــسْتَفِزُّني ... ولا كـــلُّ أهْـــلِ الأَرْضِ أَرْضـــاهُ مُنْعِمَـــا

وأقْـــبِضُ خَطْـــوي عـــنْ أمـــورٍ كـــثيرةٍ ... إذا لَـــمْ أنَلْهـــا وافِـــرَ العِـــرْضِ مُكْرَمَـــا

وأُكْـــرِمُ نفـــسي أنْ أُضـــاحِكَ عابِـــساً ... وأَنْ أَتَلَقَّـــى بالْمَـــديحِ مُـــدَمَّمَا

ولَـــمْ أقْـــضِ حَـــقَّ العِلْـــمِ إنْ كـــانَ كُلَّمـــا ... بَـــدَا طَمَـــعٌ صَـــيَّرْتُهُ لِـــيَ سُـــلَّمَا

ولَـــمْ أَبْتَـــذِلْ في خِدْمَـــةِ العلـــمِ مُهْجَـــتي ... لأَخْـــدُمَ مَـــنْ لاقَيْـــتُ لكـــنْ لأُخْـــدَمَا

أَأَشْـــقى بِـــهِ غَرْســـاً وأَجْنيـــهِ ذِلَّـــةً ؟! ... إذنْ فاتِّبـــاعُ الجهـــلِ قـــدْ كـــانَ أحْزَمَـــا

ولَـــوْ أَنَّ أَهْـــلَ العلـــمِ صـــانوهُ صـــانَهُمْ ... ولـــوْ عظَّمـــوهُ في النُّفـــوسِ لَعَظَّمَـــا

ولكـــنْ أَذَلُّـــوهُ جِهـــاراً ودَنَّـــسوا ... مُحَيَّـــاهُ بالأَطْمـــاعِ حتَّـــى تَجَهَّمَـــا

(*) فقيه شاعر ناقد ، ولد في جرجان سنة ٢٩٠هـ ، وتوفي سنة ٣٦٦هـ ، وقد علّق الأستاذ علي الطنطاوي على هذه القصيدة بقوله : (ويا ليت كلّ عالم ينقش هذه الأبيات في صدر مجلسه ، وعلى صفحات قلبه ، ويجعلها دستوره في حياته ، وإمامه في خلائقه!) .